توت عنخ امون [1]

مصر واصول الحضارة

للأستاذ الدكتور إليوت سمث

وجه اكتشاف اللورد كنارفن والمستر هوارد كارتر لمقبرة توت عنخ آمون انتباه العالم كله نحو مصر لأن هذا الاكتشاف يظهر ما قام به رجال الفن والصناعة من المصريين قروناً عديدة قبل ان يحاول الاغريق اي شيء مماثل في اي اتجاه . فيستحسن والحالة هذه ان نوجه التفات الناس الى شأن مصر في خلق العناصر التي تقوم عليها حضارة العالم ، ذلك لأنها تقدم بهذا الاكتشاف دليلاً جديداً على القانون الذي نشرحهُ في هذا الكتاب [2] وهو ان مصر اصل حضارة العالم وانها ظلت المنهم الاكبر لهذه الحضارة ثلاثين قرناً او تزيد

ولقد برهن هذا الاكتشاف الجديد للناس على اختلاف الوانهم ومشاربهم بل لأولئك الذين لم تكن تعنيهم مثل هذه الاشياء على ان مصر كانت في اواسط القرن الرابع عشر قبل الميلاد موطن حضارة عالية تمتاز الى جانب ما تمتاز بهِ ؛ بالفن السامي والأثاث الدقيق واللباس الفاخر والترف التام في ادوات المنزل والطعام والزينة . وليس لأحد ان يظن ان مظاهر الثقافة المادية والمعنوية ترتقي في مدخل اوروبا الساذجة من دون ان تستمدَّ من تلك الحضارة بعض التأثير بالذات او بالواسطة . ولما كان احد اغراض هذا الكتاب ان يسرد نصيب مصر وأثرها في العصور الأولى في تلقيح اوروبا وآسيا بعناصر ثقافتها فان اكتشافات وادي الملوك ذات خطر لأنها تعرض علينا تطور صناعة الأثاث وعمل المنسوجات بل وماية عنصر وعنصر من عناصر الثقافة التي ظهرت في اوروبا بعد ذلك بقرون ، هبةً جديدة من مصر للحضارة العامة

وفي الزمن الذي عاش فيهِ الفرعون توت عنخ آمون ومات كانت كل من كريت وسوريا قد بلغت حضارة عالية ، ومصر هي التي نبهتهما قبل ذلك بقرون حتى استطاعا نشر ثقافتهما الخاصة . وليس من شك في ان مصر كانت تتصل اتصالاً وثيقاً بكل من القطرين وليس من شك كذلك في انها كانت تستفيد من نتائج هذا الاتصال ، ولكن هذا لايدل على ان الصناعة العظيمة الظاهرة في الأثاث والحلي ، وفي النحت والمنسوجات كانت اجنبية عن مصدر الالهام لأن كل هذه الفنون والصناعات اخترعت في مصر وكانت تمارس فيها آلافاً من السنين ، ولكن الصلات الأجنبية التي اشير اليها كانت بلا ريب الباعث لدخول عناصر جديدة مثال ذلك المركبة التي دخلت وقتذاك من سوريا كاحدى نتائج ذلك الاتصال

---

(١) فصل من كتاب (المصريون القدماء وأصول المدنية) التي استأذنا المؤلف في نقله الى العربية

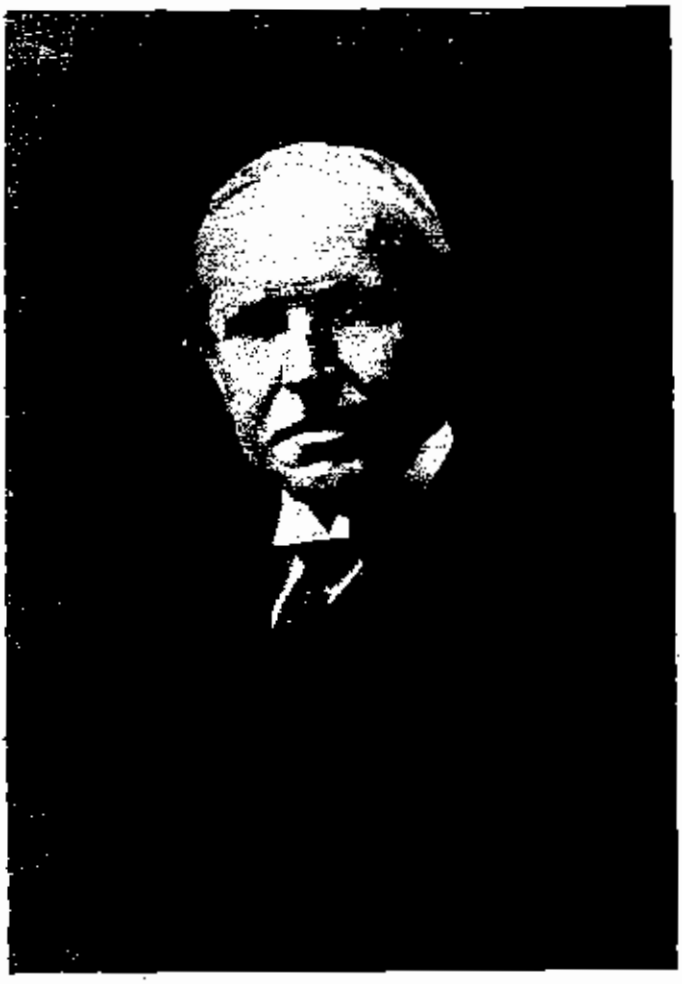

الدكتور اليوت سمث صاحب الكتاب الذي نقل عنهُ هذا الفصل

مقتطف يوليو ١٩٣٢ امام صفحة ١٤٧

هذه الأمثال تساعدنا على توضيح طريقة الاتصال الثقافي وتفاعل الأخذ والعطاء الحادث من وقت ان بدأت الانسانية في خلق الحضارة لانهُ لا يوجد قوم ذوو ثقافة استطاعوا ان يتطوروا في عزلة تامة. والامم لا تتقدم في بيوت مانية مغلقة ، ونشر الثقافة من مكان الى مكان حدث خلال التاريخ العام للحضارة، والاخذ والعطاء للمواد والافكار هما عاملا الحياة المؤثران في التقدم والرقي

واذا كانت مقبرة توت عنخ أمون خدمتنا لانها اضطرت الناس لتقدير الاعمال المصرية فيجب ان تساعدنا في اعداد عقولهم لادراك مقدار الدين الذي على الحضارة لمصر التي ولدتها وألهمتها في طفولتها وصباها . والاعمال الفنية التي اصطنعها البناؤون والحفارون والنجارون واللحاجون وصناع الحلى والاحجار الكريمة والتي ظهرت في الادوات التي اكتشفت في مقبرة توت عنخ أمون لدليل جديد على ما ذهبنا اليهِ من ان مصر ام حضارة العالم لاننا نشاهد فيها صناعة الناس الذين ابتكروا الحضارة ونشروها. ولاريب في ان اعداد مومياء فرعون وترتيب ذلك الجهاز المتقن لحاجاته جميعاً يدلان في صراحة تشبه صراحة الاطفال على اصول العقائد المتأصلة وبعض الطقوس التي افترضها العالم من مصر في احوال كثيرة دون ان يفهم أصولها أو معانيها لان الاقوام الذين أخذوا هذه العادات المصرية لم يكلفوا انفسهم مشقة البحث عن اسبابها ، وهكذا تظهر قيمة دراسة الآثار المصرية في انها تقدم الايضاح الصادق لآلاف الاشياء التي نعملها تحت تأثير التقاليد كل يوم بل كل ساعة من دون أن نعرفه لماذا نعمله

في عهد توت عنخ أمون وفي عهد اسلافه وخلفائه الادنين كان هناك اتصال وثيق بين مصر وسوريا وكان هناك مصاهرة دائمة بين افراد الاسرتين المالكتين . وتوضح الاسانيد المكتوبة للاسرتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة احدى طرائق الاختلاط الجنسي بين القطرين، وغرض هذا الكتاب بيان نتائج هذا الاختلاط في اي سنة حتى ذلك العهد

واول مكان مصر — على قدر اكتشافنا — عم القوم الذين ادخلوا زراعة الشعير وابتكروا فن الري وصياغة الذهب وطريقة استخراج النحاس من خاماته ، ومن المحتمل ان يكونوا اول قوم استعملوا لبن الابقار كطعام انساني

على ان أرغم في ابتكار القيمة الباقية للمعدن الذي لا قيمة له في الواقع ، ونعني بهِ الذهب لمن الاحداث الجسام في تاريخ العالم لانهُ ما ان اعطيت القيمة السحرية — كما كبير الحياة — لهذا المعدن الاصفر اللين السهل التناول وما ان صنعت منهُ التمائم البراقة الصافية حتى بعث شعور الناس بالجمال وحتى بحثوا عنهُ في كل مكان . . . ونتج عن ذلك ان اصبحت له قيمة عظيمة كانت المؤثر الاكبر في العالم من ذلك الحين

وقبل ان يصبح معدن الذهب واسطة التعامل بقرون أخذ الناس في البحث عنهُ واستخراجه حتى وصلوا الى ارتفاعه وساحل الذهب في الغرب وزمبابوى ومدغشقر في

الجنوب ، واليابان والفيليبين وماليزيا واميركا في الشرق ، فليس غريباً ان يصبح الذهب الباعث في نشر الحضارة في العالم كله لان كل مَنحَلّة مُعدّن اضحت مركز ثقافة اجنبية نبتت في قطر بعيد . وليس غريباً ايضاً ان يصبح غواية الناس يدفعهم الى الجشع ويوقد بينهم نار المنازعات والحروب . وان مقابر توت عنخ آمون وغيره من الفراعنة تقدم درساً موضوعياً لنتائج مثل هذا الجشع الذي كان من القوة بحيث ان رعية أولئك الفراعنة الذين كانوا يعتبرون كالآلهة كانت تعتقد ان قبورهم تدنس اذا خلت من الذهب . وبهذا كان المصريون مسؤولين عن خلق تلك القيمة المفتعلة لهذا المعدن . كان الذهب في عهد توت عنخ آمون يغري اللصوص ، ومع انه لم يكن قد استعمل للتداول الاّ انه كان المادة التي تدفعها الامة جزية للاخرى ، تُصنع منه الحلي كما كان يقدر لمزاياه السحرية كواهب الحياة وكرمز للام الكبرى « هاتور » و « هاتور » هي منتجة الغلل وساحبة الحياة ومعيدة الشباب للناس ، وهي الى جانب هذا (البقرة الالهية) واهبة اللبن متصلة بالقمر الذي كان يظن انه المسيطر على قوى اعطاء الحياة عند النساء ؟ وكانت تمثل بصورة أخرى هي حبة الشعير

ولما ابتكر المصريون وسائل زراعة الشعير اصبح للشعير شأن كبير جداً لا باعتباره مادة رئيسية من مواد الطعام ولا باعتباره المادة التي تصنع منها الجعة الالهية « واهبة الحياة » ولكن لان الحبة كانت كالاصداف التي كانت تعتبر رمزاً للقوى المعطية للحياة عند النساء ولهذا كانت تعتبر حبة الشعير كواهبة الحياة لا بالمعنى الضيق للتغذية ولكن بالمعنى السحري الواسع كرمز للام الكبرى

وذاع صيت الذهب من ناحية السحر اولاً لانه كان يستعمل في صياغة التمثم المكونة من الاصداف ، وانا اعود لامثال هذه المسائل هنا لأوجه الالتفات لهذه الحقيقة وهي ان جميع المواد التي استعملت في التبادل كالاصداف وحبات الشعير والماشية والذهب كانت كلها رموزاً للام الكبرى ، وبالطبع عظمت قيمة هذه الاشياء المختلفة عندما نسبت لتلك الام وهكذا اصبحت لها صولة سحرية — وبهذا أمكن استعمالها في التعامل

وفي ايام توت عنخ آمون كان الشعير مستعملاً في مصر كلها وكانت حبات هذا النبات تعتبر مستودع المواد الحبة التي على صورة « ام الحنطة » أو بعبارة اصح « ام الشعير » وكان يصور « اوزير يريس » في مقابر اسلافه وخلفائه الادنين بحبات الشعير النابتة التي كانت توضع في غرفة الدفن لتعيد بالسحر الى الفرعون الميت قوى الام الكبرى المعطية للحياة كما اعطيت لحبات الشعير النابتة . وفي الفصل الثالث من هذا الكتاب عدت الى الاشكال المسماة « Steatopygous » في القبور القديمة بمصر والتي كان الغرض منها ان تعبر بحق عن فكرة تقديس الاصداف

« البقية في باب الاخبار العلمية »

تابوت توت عنخ آمون الذهبي وهو محفوظ في متحف القاهرة امام صفحة ١٤٨